مدرسة الأحزاب

ملخص
المحاضرة الثامنة

المحاضرة الثامنة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا (53)

في موقف حدث مع النبي صلى الله عليه وسلم، كان هناك أشخاص تناولوا الطعام عنده، وداموا فترة أطول مما ينبغي. حاول النبي أن يفهمهم أنهم قد أطالوا الجلوس، لكنه لم يتمكن من ذلك. وعندما غادروا، أصابه بعض الضيق بسبب تأخرهم، حيث كان يود أن يغادروا في وقت أقرب. لكنه تجاوز الأمر ولم يعير له أهمية. لكن الموضوع لم يمر مرور الكرام، فقد أنزل الله آيات تتعلق بهذا الأمر.

قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (33) سورة الأنعام

كان النبي صلى الله عليه وسلم يجلس حزينًا، وقد كان حزنه في نفسه، ولم يعبر عنه. لكن الله تعالى يعلم ما في قلبه. فأمر جبريل أن يذهب إلى النبي ويسأله عن سبب حزنه. فأنزل جبريل إلى النبي، وسأله: ما الذي يحزنك؟ فقال: "أمتي أمتي". فصعد جبريل إلى الله ليخبره، ثم أنزل الله جبريل مرة أخرى ليقول للنبي: "إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك".

لتفصيل الأمر، نزلت هذه الآيات بسبب زواج النبي صلى الله عليه وسلم من زينب بنت جحش رضي الله عنها في شهر ذي القعدة من السنة الخامسة من الهجرة. فقد أعدت أم سليم وليمة، واجتمع الناس في بيت زينب. وكانت بيوت النبي صلى الله عليه وسلم صغيرة، عبارة عن حجرات.

اجتمع الناس وتناولوا الطعام، ولكنهم تأخروا قليلاً. عندما شعر النبي بأنهم أطالوا الجلوس، أظهر استعداده للقيام، فغادر بعضهم. ومع ذلك، استمر البعض الآخر في الجلوس، حتى بقي ثلاثة أشخاص لم يفهموا الإشارة. ولم يقصد هؤلاء إزعاج النبي صلى الله عليه وسلم، بل كانوا معذورين. وعندما أدركوا أنهم وحدهم، غادروا.

كما جاء في الرواية، كانت زينب رضي الله عنها تضع رأسها على الجدار، حيث كانت تخجل من وجود الرجال بينما هي موجودة. وقد كانت ممددة وجهها للجدار، ولم تكن الآيات المتعلقة بالحجاب قد نزلت بعد.

ففي تلك اللحظة نزلت الآية. حتى أن أنس بن مالك قال إن الآية نزلت بسرعة. وعندما حاولت الدخول إلى البيت، منعني رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسألته: لماذا؟ فأخبرني بأن الآية وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاء حِجَابٍ قد نزلت، فتم فرض الحجاب على زوجات النبي عليه الصلاة والسلام، ومنع الرجال من الدخول عليهن، حتى أن أنس، الذي كان خادم النبي، مُنع من الدخول.

ومن المعروف في التفاسير أن هناك سببًا آخر لنزول الآية. فقد ورد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان يرى أن الأمر في البداية كان عاديًا بالنسبة للعرب، حيث كان بإمكان الرجال دخول بيت النبي صلى الله عليه وسلم وطرح الأسئلة دون استئذان، قبل أن تنزل أحكام الاستئذان في سورة النور. لكن عمر رضي الله عنه شعر بالقلق من ذلك، لأن بيوت النبي ليست كغيرها، حيث يتواجد النساء، وهذا يسبب بعض الإحراج. فقال: يا رسول الله، لو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب، فإنهن يدخلن عليهن البر والفاجر. فأنزلت آية الحجاب.

غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ: تعني منتظرين نضجه، أي لا تنتظروا حتى ينضج الطعام.

وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا. أي ادخلوا في وقت الطعام، ولا تأتي مبكرًا قبل أن ينتهي الطعام.

فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا . أي عندما تنتهون من الطعام، يمكنكم المغادرة.

وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ: . أي لا تقعدوا للحديث، فلا ينبغي أن تقولوا: دعونا نتحدث قليلاً، أو أريد أن أسأل سؤالين. فلا توجد فرصة للحديث مع النبي عليه الصلاة والسلام.

وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ. هنا نجد فائدة جميلة في هذا السياق، وهي أن من آذى النبي عليه الصلاة والسلام هم أصحابه. وهذا يذكرنا أنه مهما كان صديقك، فلن تجد صديقًا كاملاً، فقد يؤذيك أحد أصدقائك، لذا ينبغي عليك التجاوز.

وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ: هذا حقه، وقد سكت عن حقه، لكن الله تعالى أتى له بحقه سبحانه وتعالى.

إذا كان هناك حق لا ينبغي أن يستحي منه، فقد جاءت الصحابية أم سليم إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وسألته: "يا رسول الله، الله لا يستحي من الحق، فهل على المرأة غسل إذا احتلمت؟" فقال النبي عليه الصلاة والسلام: "نعم، إذا رأت الماء." كان سؤالها مهذبًا، حيث أرادت أن تحل مشكلة تتعلق بحكم شرعي بشكل مهذب.

فَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ . كلمة "حجاب" هنا تشمل كل ما يحجب المرأة عن الرجل، مما يعني أن مفهوم الحجاب يتضمن البيت نفسه، حيث أن السياق يشير

إلى أن الآيات تتعلق بما يحدث داخل البيوت. فالبيت نفسه يُعتبر حجابًا، وعندما تتعامل المرأة وهي في بيتها مع الرجال، ينبغي أن تتم هذه المعاملات من وراء الباب. وهذا هو الأصل في هذا الأمر.

فَرَبَّنَا يُعَلِّلُ هَذَا الحِكْمَةَ قَائِلاً: **ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ.** يعني أن هذا الأمر أكثر طهارة من خواطر الشيطان التي قد تخطر في بال الرجال بشأن النساء، أو لدى النساء بشأن الرجال. فالنظرة سهم مسموم من سهام إبليس، إذ يدخل الشيطان من خلالها ويبدأ في التأثير على الأفكار والصور. وإذا خرجت المرأة، يستشرفها الشيطان ويزين كل مفاتنها للرجال. وعندما ينظر الرجل إلى المرأة، فإن الشيطان يتلاعب بعقله وأفكاره ويزين له أفكارًا خبيثة.

الشاهد هنا من هذه الآية أن هناك شيئًا غريبًا. كل الناس يعلمون أن أزواج النبي عليه الصلاة والسلام هن أمهات المؤمنين، ويتعاملون معهن على هذا الأساس. لكن قد يتساءل المرء: من الذي قد يخطر في باله أن يفكر في أم المؤمنين حتى لو رآهن قبل نزول الحجاب؟ هذا أمر مستبعد، فالصحابة كانوا يقدرون زوجات النبي، ولم يكن من المتصور أن يقوم أحدهم بمثل هذا الأمر، حتى مع زوجة النبي صلى الله عليه وسلم. ومع ذلك، يُؤكد الله تعالى أن فرض الحجاب يظل هو الأمر الأكثر طهارة.

فإذا كان هذا هو الخطاب الموجه للصحابة وزوجات النبي، فما الذي يمكن قوله للشباب والفتيات في أيامنا هذه؟

سؤال: هل يوجد في الإسلام ما يسمى القياس؟ القياس هو استخدام حكم على حكم آخر استنادًا إلى وجود علة مشتركة بينهما. على سبيل المثال، يُعتبر الخمر حرامًا لأنه مسكر بنص الشريعة، وبالتالي يُعتبر الحشيش حرامًا أيضًا لأنه يُسكر، فيكون له نفس الحكم.

عند العلماء، قد تكون العلة في حالة معينة أكبر من العلة في حالة أخرى. على سبيل المثال، يقول الله تعالى عن الأم والأب: فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا. لكن ما حكم ضرب الأم والأب؟ لن تجد نصًا في القرآن ينص على أنه لا يجوز ضربهما. فيأتي شخص ويقول: "لم أجد في القرآن ما يمنعني من ضرب والديّ." وأقول له إنه مخطئ. لماذا؟ لأن هذا يُسمى حكمًا أوليًا. إذا كان الله قد نهى عن قول "أف" لهما، فلا حاجة لنهيك عن الضرب، لأن النهي عن الأقل يعني النهي عن الأكثر.

هنا العلة التي تتعلق بطهارة القلوب. هل هي أكبر في حالة الصحابة مع زوجات النبي صلى الله عليه وسلم، أم هي أكبر في حالة شباب وفتيات هذا الزمان؟

وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا (53).

هذا يوضح الحكم الواضح بأنه لا يجوز لأحد أن يتزوج بزوجة النبي عليه الصلاة والسلام أبدًا، حتى بعد موته. وكما قلنا، هي في مقام الأم في تحريم الزواج بها وفي ضرورة التوقير، وليس في مسألة العورة.

قد تقول لي: "لكن هذا يؤذي أي شخص." وهذا سؤال جيد. لكن، إذا كان الزواج من زوجة النبي بعد وفاته يُؤذي النبي عليه الصلاة والسلام، فهذا بلا شك أمر لا يرضاه الزوج. يُفضل أن تبقى زوجته معه في الجنة، لذا فالعلة نفسها موجودة في كل الرجال.
هنا ينظر الشرع إلى المفسدة والمصلحة. لفهم قيمة النبي عند الله، ما هي المفسدة؟ المفسدة أن هذا الأمر يضر الزوج بلا شك، والزوجة تعلم أن ذلك يؤذيه حتى بعد وفاته. فهناك من يقول: "لن أتزوج لأنني أعلم أن زوجي لا يحب ذلك." وما هي المصلحة؟ المصلحة تكمن في العفة. المصلحة هنا تتعلق بالمرأة التي قد يكون زوجها قد توفي وعمرها عشرون أو ثلاثون عامًا، وقد تكون لديها أطفال وتحتاج إلى من يعولها ويقدم لها الحماية. وبالتالي، نطرح السؤال: أيهما أكبر، المصلحة أم المفسدة؟ بالطبع، المصلحة أكبر. ولذلك، جاء الشرع ليُغلّب المصلحة على المفسدة، فأباح للمرأة أن تتزوج بعد وفاة زوجها. ورغم أن ذلك قد يكون فيه إيذاء للزوج المتوفى، إلا أن المصلحة هنا تتفوق على المفسدة.
ومع ذلك، يجب الانتباه إلى أن إيذاء النبي صلى الله عليه وسلم يُعتبر أكبر مفسدة، وتفوق أي مصلحة تتعلق بالزواج من بعده.
إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ حتى يأتي في بالك، فإن الله يعلم. لذا، فلا تفعل ذلك ولا تفكر فيه.
لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آَبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا (55)
تشير هذه الآية إلى جميع المحارم ما عدا الخال والعم. وهناك إجابتان على هذا السؤال:

1. **الإجابة الأولى:** إن القرآن يكمل بعضه. فقد ذُكرت صلة الخال والعم في سورة النساء، حيث قال الله: **حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ (النساء: 23).** وبنت الأخ تعتبر عمة لها، وبنت الأخت تعتبر خالة.
2. **الإجابة الثانية:** يعتقد بعض العلماء أن الله ذكر أبناء الأخوان والأخوات، لذا فابن الأخ يُعتبر بالنسبة لهم عماً، وابن الأخت يُعتبر خالاً. مما يدل على أن نفس الدرجة تأخذ نفس الحكم، وبالتالي فإن العم والخال يعدان محارم.

أما بالنسبة للجد، فإنه يُعتبر من الآباء، حيث تشمل كلمة "الآباء" الأب والجد وما فوقهما، وتشمل كلمة "الأبناء" الابن والحفيد وما دونه.

بالنسبة لمواضع الزينة، فهي تشمل أجزاء من الذراع والساق وأماكن وضع القلادة والشعر.
بالنسبة للرجال، فقد ذكرنا أن الزوج لا يوجد حدود في التعامل معه.

وأما بالنسبة للنساء، فقد اختلف العلماء:

1. **القول الأول:** أن عورة المرأة أمام المرأة مثل عورة المرأة أمام الرجل المحرم.
2. **القول الثاني**: وهو رأي جمهور العلماء، أن عورة المرأة مع المرأة من السرة إلى الركبة، مثل عورة الرجل مع الرجل.

والأصل في المرأة هو الحياء والتستر، لذا يُفضل أن تلبس محتشمة حتى أمام النساء.

إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا* (56)

يقول كثير من العلماء: إن الله تعالى يخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملأ الأعلى، حيث يثني عليه عند الملائكة المقربين. كما أن الملائكة أيضًا تصلي عليه، ثم أمر الله تعالى أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه، فيكون الثناء عليه مجتمعا من أهل العالمين العلوي والسفلي جميعًا.

ما معنى أن الله يصلي على النبي عليه الصلاة والسلام؟ هذا يعني أنه يثني عليه، ويعلي شأنه، ويرفع ذكره، ويعلي قدره عنده. فالملائكة تصلي على النبي تطلب من الله ذلك، أي أن تسأل الله أن يرفع شأنه. وبهذا، عندما نقول "اللهم صل على محمد"، فإننا نطلب من الله أن يرفع قدره، ويكثر الثناء عليه، ويذكره عنده، ويرفع شأنه.

قال النبي عليه الصلاة والسلام: **"من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرًا"** هذا يعكس عظمة قدر النبي ومكانته عند الله. فعندما نصلي عليه، فإن الله يثني علينا ويرفع قدرنا، وينصرنا، ويهدينا، وينور قلوبنا، ويغفر لنا ويرحمنا. كما أن الملائكة تصلي علينا، وهذا يعني أنهم يطلبون من الله الرحمة والمغفرة لنا.

هناك حديثان يوضحان كيفية التقرب من النبي عليه الصلاة والسلام:

1. **حسن الخلق:** حيث قال النبي: "أقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحسنكم أخلاقًا". هذا يدل على أهمية الأخلاق الحسنة في التقرب إلى النبي.
2. **كثرة الصلاة عليه:** حيث قال النبي: "أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم صلاة علي".

هناك حديث غير مشهور لكنه صحيح، يقول: "من نسي الصلاة علي خطئ طريق الجنة". وهذا يشير إلى أهمية الصلاة على النبي وأثرها في هداية الإنسان.

وفي حديث جبريل عليه السلام، قال: "من ذكرت عنده فلم يصلي عليك، أبعده الله". فقيل له: "قل آمين"، فأجاب: "آمين". هذا يعكس شدة أهمية الصلاة على النبي.

أفضل صيغ الصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام هي الصيغة الثانية من التشهد: "اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم، إنك حميد مجيد".

إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا (57)

ما معنى "يؤذون الله"؟ يؤذي الله بالكفر والشرك، مثل نسبة الولد له أو نسب الصاحبة، أو الاعتراض على القدر، أو رفض الانقياد للأحكام الشرعية. كل هذا يُعتبر إيذاءً لله.

أيضًا، بعض الناس يقومون بتهنئة النصارى في أعيادهم، وهذا يُعتبر سبًا لله. كيف يمكن أن تُهنئ شخصًا في عيد يُعتبر كفرًا؟ لا يمكن أن أشاركهم في عيد متعلق بالعقيدة. إذا كان الشخص يحتفل بعيد يُخالف عقيدتي، فلا أستطيع أن أُعيد عليه.

لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا (57) العذاب هنا له نوعان: عذاب عام وعذاب مهين. العذاب المهين هو أشد نوع من العذاب. فالعذاب الأليم قد يكون مجرد ألم، لكن العذاب المهين يجمع بين الألم والاهانة. كما لو ضربتك على صدرك فهذا عذاب أليم، لكن لو أهنّتك بالضرب على وجهك، فهذا يُعتبر عذابًا مهينًا لأنه يتضمن الإهانة بالإضافة إلى الألم.

وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ . هؤلاء هم الذين يطعنون في أعراض المؤمنين، ويتحدثون بسوء عن عائلاتهم وشرفهم، ويأخذون أموالهم بغير حق. كل هذا يُعتبر إيذاءً لهم.

بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا (58). هذا يُظهر خطورة الظلم وأثره. "اياكم والظلم فإن الظلم ظلمات." ينبغي علينا أن نكون حذرين في التعامل مع المؤمنين، حتى لو بكلمة، لأن ذلك ليس هينًا عند الله. يجب أن نتذكر أن كل ما نقوله أو نفعله سيُحاسبنا الله عليه.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.